المحاور الخمسة في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ محمد الغزالى

يظن كثير من المسلمين أن الإسلام ما هو إلا شعائر – وما دام المسلم يؤديها فقد أدى ما عليه، مع أن الشعائر ما هي إلا أركان الإسلام فهو البناء العظيم الذي يؤدي وظيفته في المجتمعات البشرية على امتداد الزمن والمكان.

وحتى الشعائر المؤداة إذا لم تكن مستوفية لكل متطلباتها فلا يمكن أن تفيد المسلم الفائدة المنتظرة.

وقدم بعض الأعراب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقالو له بأنهم آمنوا ولم يحاربوه وطلبوا نصيبهم من الغنائم، فبين لهم القرآن حقيقة وضعهم وقال لهم: الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات 14) وذلك يدل على فهم سطحي للإسلام، ذلك لأن الإسلام في حقيقته هو إسلام الوجه والقلب، ولله رب العالمين، وبذلك يصبر المسلم مؤمنا، والمؤمنون هم الذين تتحقق فيهم حقائق وضحتها الآية الكريمة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات 15) وقد لمس فضيلة الشيخ محمد الغزالى في

مسلمي العصر الحاضر في كثير من البلاد هذا الفهم السطحي لمعنى الإسلام، فكتب كتابه "المحاور الخمسة في القرآن الكريم" وبين الأسس التي يقوم على أساسها إعداد المسلم إعداد كاملا لوظيفته في الحياة باعتباره خليفة في الأرض، يدعو إلى الله على بصيرة ويجاهد في سبيل الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولتكون الحياة البشرية قائمة على منهج الخالق سبحانه وتعالى، والمحاور الخمسة هي الله الواحد والكون الدال على خالقه والقصص القرآني والبعث والجزاء وميدان التربية والتشريع.

الله الواحد:

يقول شيخنا إن عبادة العابدين لا تزيد في ملكه شيئا وكفر الكافرين لا ينقص من ملكه، فالإيمان بالله وحده وعبادته وحده هي فائدة للمؤمنين.

وحواس الإنسان ما فائدتها إذا كان الإنسان لا يستفيد منها؟ وهذا حال الغافلين الذين يصيحون كالأنعام بل هم أضل، لأن الأنعام قد تستفيد استفادة تبقى على حياتها – ولذلك فإن ذلك نصيب الغافلين الذين لا يفقهون الحق بقلوبهم ولا يبصرون دلائل قدرة الله بأعينهم ولا يسمعون المواعظ سماع تدبر واتعاظ بأذانهم، فهم كالأنعام بل أضل، ولذلك فإن نصيبهم جهنم يقول الله تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ

لَا يَسْـمَعُونَ بِهَـا أُولَٰئِـكَ كَالْأَنْعَـامِ بَـلْ هُـمْ أَضَـلُّ أُولَٰئِـكَ هُـمُ الْغَـافِلُونَ) (الأعراف: 179).

والنصارى يتحدثون عن ألوهية المسيح والمسيح ما هو إلا عبد الله ورسوله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولذلك فإن القرآن يقولها واضحة: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (المائدة: 17).

التوحيد العملي:

التوحيد العملي يجعل اتجاه الإنسان إلى ربه وحده فيستريح باله وتهدأ نفسه لأن الإنسان تزله الحاجة فيضرع إلى من يظن قضاءها عنده، ولكن المؤمن لا يضرع إلا لله ولا يلجأ إلا إليه ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي ركعتي الفجر بسورة الكافرون وسورة الإخلاص، الأولى تحارب ترك العمل والثاني تحارب ترك العقيدة، وعقب الصلوات كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيتت ولا يبلغ ذا الجد منك الجد).

والإسلام يطالب المسلم بإصلاح الباطن بأضواء التوحيد – ثم إصلاح الظاهر بالعمل في سبيل الله والاستجابة إلى كل ما طلبه رسول الله، ومن ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يطلب من

المسلمين المساواة في الصف بالصلاة، لأن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، ورب العزة يطالب المسلمين بأن يقاتلوا في سبيله صفا واحدا حتي يحبهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (الصف 4)، ومعنى ذلك أن المطلوب من المسلمين التحرك بروح الجماعة كلها، بحيث ينسى الفرد نفسه وهو يتعاون مع غيره على إعلاء كلمة الله، وعلى القيام بحب الله وهذا هو النظام المحكم.

ترى ما المقابل لهذا؟ سؤال يجيب عليه شيخنا بقوله:

"المقابل لهذا سلوك القطيع الذي ينطلق بروح الأثرة أو لطلب القيمة أو لطلب النجاة، وهذا السلوك لا يظهر فيه إلا حب الحياة ولو كان على حساب الآخرين، ومن هنا نجد القرآن الكريم يطالب بالإنفاق في سبيل الله، وبالإحسان في كل الأعمال ويحذر المسلمين من أن عدم السير في هذا الطريق هو الهلك :(وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(البقرة: 195).

الأمة الإسلامية:

الأمة الإسلامية في العصر الحاضر تزعم الارتباط بالله تعالى – ولكن هذا الزعم لا يطابق الواقع، فالسلع تخرج دون مستواها المطلوب والأعمال تدار بطريقة همجية، وكان ينبغي أن تكون الأمة مرتبطة بالله ارتباطا حقيقيا ونموذجا عالميا لإتمام كل نقص في المجتمع والحياة – وهذه

الأجواء تفتك بالمجتمع وتنهض على تقاليد الرياء والخيلاء التي تنشر النفاق الاجتماعي الذي بنيت عليه العادات والأحكام - والله لا يحب كل من كان مختالا فخورا هؤلاء الذين يتصفون بالبخل ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاحه الله من فضله، قد يكون للمشتركين عذر في ذلك كله لأنهم يحتكمون إلى غير الله ويمضون في الدنيا بدون ضابط، ولذلك فإن العالم الآن يقر العلاقات الجنسية في آية صورة ما دامت برضا الأطراف، وكذلك الربا والخمر، وغير ذلك ولكن ما عذر المسلمين في ذلك والأمور عندهم واضحة - فالحكم لله وحده الذي لا يقر بذلك ولا يعمل به إلا من هو خارج عن الإسلام والقرآن الكريم يقول: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء :65).

وإشارة إلى الأدب النفسي والأدب الاجتماعي والأدب العسكري جاء في السنة: (لا تمس النار عينا بكت من خشية الله ولا تمس النار عينا غضت عن محارم الله ولا تمس النار عينا باتت تحرس في سبيل الله)، وذلك كله ينبثق من عبادة التوحيد الكاملة التي توضحها الآية الكريمة:(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام :162).

هل من مذكر؟

صاحب الجنتين الذي ذكر في سورة الكهف أغراه مراءاته بالكفر بالله تعالى وبالتطاول على صاحبه وبالتفاخر بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا

- وحين دخل جنته رأى من ثمارها البالغة وجعل يظلم نفسه ويقول: ما أظن أن تبيد هذه أبدا - وما أظن الساعة قائمة وحتي لو قامت الساعة فإنه سيجد خيرا من جنته هذه - ولم يسأل نفسه سبب هذا الغرور- ونصحه صاحبه ودعاه إلى الإقرار بالخالق له من تراب ثم من نطفة ثم سواه رجلا، وبين له أنه يؤمن بالله ولا يشك به أحدا، ولذلك فإن الله قد يؤتيه خيرا من جنته وطلب منه أن يغير طريقه وأن يشكر ربه على نعمة، فيقول إذا رأي جنته ناضرة ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فإذا لم يفعل ذلك فإن الله قد يرسل على جنته حسبانا من السماء فتصبح أرضا ملساء لا زرع فيها ولا نبات، أو لا يجد الماء الذين يروها به فلا يستطيع أن يزرعها، ولم يستجب الرجل لهذه النصائح فأحبط بثمرة فهلكت، وأصبح ذلك المعجب بنفسه وولده وناله يقلب كفيه ندما وحسرة على ما أنفق في عمارتها، وقد أصبحت الآن ساقطة على عروشها ويقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحدا، لقد كان يتيه بماله وولده فهو الآن لا يجد المال ولا الولد الذي ينصره، وفي يوم القيامة الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً، هذه القصة ذكرها القرآن الكريم للعظة والاعتبار والتذكر، ومع ذلك فإن العالم الإسلامي الآن تائه في أنظاره تائه في اتجاهاته تائه في سلوكه.

ترى ما المخرج من هذا المأزق؟

سؤال يجيب عليه شيخنا بقوله: الإنقاذ يكون باليقظة الإسلامية الكاملة الواعية التي تجعل التوحيد فلسفة الحياة وروح الأمة، ونموذج

الارتقاء المادي والأدبي لا دعوى تسيء إلى الحقيقة والإيمان الحقيقي بالله تعالى وعبادته المتصلة طبقاً لمنهج الله تعالى يحرران الإنسان عن العبودية والخضوع لأية قوة مادية أو بشرية ومن كل العوائق الداخلية والخارجية فينطلق المسلم إلى أداء رسالته وهو يحس بالحمية والحيوية والقوة - يتجه في كل ذلك إلى الله، والله معين له على أدائها ومتكفل برعايته وضمان لطمأنته في الدنيا، وفوزه في الآخرة سواء أصاب أم أخطأ ما دامت الوجهة كلها لله، والمسلم بهذا يحدد موقفه من العالم كصانع للتاريخ ومحرك له، يقول المستشرق الفرنسي مونقيين مدير جامعة جنيف "إن الحمية من الصفات المميزة للدين الإسلامي إن المسلم عالم يحمل في جسمه أنسجة التبشير".

وهذا ما يخيف الغرب من الإسلام ويعمل بكل الطرق على إماقته عن أداء وظيفته بكل الطرق، إن المجتمع الإسلامي يبني لأهداف يحققها كل فرد في حياته كما يبني لما بعد الحياة.

بل إن بناءه للحياة هو بناء لما بعد الحياة أيضاً ما دام المسلم يريد بعمله وجه الله تعالي، وكل ذلك يتطلب من المسلم جهداً أكبر من جهد غيره، وهكذا المؤمنون الأوائل مما يجعل بعض الكتاب يقول: "لقد حول النبي" جماعة المؤمنين إلى مجتمع متحد مؤمن بالله وتحميه أعلى القيم الأخلاقية.

والعالم الذي نعيش فيه يشيع في نفوس أفراده القلق والحيرة فهو يفتقد السعادة، لأنه يفتقد الأمن الداخلي والأمن الخارجي وهو في حاجة

إلى نهج جديد يحقق له ما يفتقده ويجعله يحس بالاطمئنان وهذا مجال الإسلام وهذه رسالة المسلمين { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } "آل عمران 104".

والدعوة إلى الخير لابد وأن يؤمن بها الداعون إليها إيماناً عملياً، وإلا كانت النتيجة عكسية ونحن الآن نحس بحاجتنا وبحاجة العالم كله إلى الإسلام، ولذلك فلابد وأن نصوغ أنفسنا صباغة جديدة طبقاً للمحاور الخمسة في القرآن، ثم نقوم بالدعوة إلى الله على بصيرة، حينئذ نسعد المجتمع الإسلامي ونسعد البشرية كلها حينئذ نكون من الفائزين في الدينا والآخرة.